ملامـــــح النصبية في العمارة الإسلاميـــة

د.قبيلة فارس المالكي
أستاذ مساعد/ كلية الهندسة / جامعة بغداد

د. نادية عبد المجيد السلام
مدرس/ كلية الهندسة / جامعة بغداد

تغريـــد زهير نجيب الزبيدي
باحث
المكتب الأستشاري الهندسي/ جامعة صدام

الخلاصة :

يعنى البحث بالتعمق بالدراسة التنظيرية لمفهوم النصبية في العمارة ، حيث إن الجـــهود النظريـــة المبذولة في دراسة هذا المفهوم لا تعطي الأهمية والتعمق المطلوب في إعطاء الأبعـــاد النظريـــة المعرفيـــة الشاملة لمفهوم النصبية في العمارة كتوجه معماري وعمراني مميز ، وبالتالي عدم إمكانية الدراسة والقيـــاس والتطبيق لهذا المفهوم في العمائر السابقة والمعاصرة ، ومن هنا برزت أهمية البحث الذي تتلخص مشـــكلته البحثية في " بناء الإطار المعرفي الشامل لمفهوم النصبية في العمارة بدوافعها وأهدافها وأســـاليبها التطبيقيـــة وفي التحقق من وجود التوجه النصبي في العمارة الإسلامية " فجاءت الدراسة هادفةً إلى بناء الإطار المعرفي الشامل لمفهوم النصبية في العمارة بمقوماته الفكرية النابعة من البيئة الثقافية والحضارية والبيئـــة الطبيعيـــة للمجتمع المعني وارتباط هذه المستويات الفكرية بأهداف ودوافع النصبية في العمـــارة. وبشـــمولية الإطـــار المعرفي تم التحقق من وجود مفهوم النصبية في العمارة الإسلامية كتوجه مدروس بأساليبه التطبيقية ودوافعـــه وأهدافه معمارياً وعمرانياً.

أما المنهج المعتمد هو منهج الدراسة المقارنة لتحقيق أهداف البحث وذلك بدراســـة النصبيـــة فـــي العمارة البابلية والعمارة الرومانية والعمارة الغوطية، للخروج بالإطار المعرفي الشـــامل لمفـــهوم النصبيـــة، للبحث مبرراته بأختيار هذه العمائر دون غيرها الى جانب أهتمامه بدراســـة بعـــض التوجـــهات المعماريـــة والعمرانية في العمارة الإسلامية بغية التحقق من وجود النصبية في العمارة الإســـلامية وبالتـــالي دوافعـــها وأهدافها.

Abstract:

Most of the recent architectural studies directed towered the necessity of using the architectural characterization of the cultural inherited of the Islamic Architecture in the futurist designs, in away that unified the contemporary architecture with the historical roots.

The contemporary architecture environment of the types and styles various in functions , forms and goals pushing on limitation of copying these types of traditional architectural elements , but trying to study and realize the cognitional meanings and using architectural solutions that had specific characterizations which connected with the theoretical believes which came from the cultural environment of the Islamic community in the contemporary designs.

For that need ,for the designers to use the character of the Islamic Architecture in the contemporary designs depending on architectural studies searching in these meanings which must be objectively and comprehensively for (architectural studies and researches) and (practical topics in the contemporary architecture).

Monumentality is one of these meanings, which is related to the cultural environment that needs an objectively comprehensive study.

The absence of the cognitional frame was the main problem of the research that is related to the monumentality in the Islamic Architecture.

For that the main target of the research was to put the cognitional frame of the Monumentality in Architecture so it can judge any type or style in architecture including Islamic Architecture.

The research studied three types of architecture (Babylon, Roman and Gothic) focussing basically and intensively on its Monumentality in its architecture to give the cognitional frame of the Monumentality in its meaning , intentions , goals and its topics in architecture, so it can judge any architecture including Islamic Architecture which had special characteristic that are specialized the Monumentality in Islamic Architecture in comparison with other Architectures.

(1-1) المقدمـــة:

تركزت التوجهات المعمارية في السنوات الأخيرة على ضرورة توظيف الخصائص المعمارية للموروث الحضاري للعمارة الإسلامية في التصاميم المستقبلية بشكل يحقق كل من المعاصرة والارتباط التاريخي . فالواقع المعماري المعاصر من طرز معمارية متنوعة الوظائف والأشكال والأهداف يدفع أكثر باتجاه الحد من جدوى النسخ الشامل للطرز أو العناصر المعمارية السابقة ، بل إلى استعارة مفاهيم ومعالجات معمارية ذات خصائص معينة مرتبطة بالمستويات الفكرية النابعة من البيئة الثقافية الحضارية للمجتمع الإسلامي وتوظيفها في العمارة المعاصرة. من هنا تكمن حاجة المصمم المعماري إلى توظيف معالم العمارة الإسلامية في التصاميم المستقبلية في توفر دراسات معمارية تبحث في المفاهيم المعمارية على أن تكون ذات طابع شمولي موضوعي للاستفادة منها على مستوى الدراسات والبحوث المعمارية الى جانب التطبيقات العملية في العمارة المعاصرة لتبقى عمارتنا المعاصرة وسيلة للتواصل والاتصال نابعة من بيئتنا الثقافية الحضارية والبيئة الطبيعية.حيث أن من أهم الجدليات في تاريخ العمارة الإنساني هي تلك المتعلقة بتواصل الطرز والتقاليد المعمارية في الحقبات الزمنية المتعاقبة للمجتمعات والمعتمدة في مجالها على عدد من المفاهيم المعمارية المتوارثة النابعة من المستويات الفكرية الفلسفية و الدينية و الاجتماعية لهذه المجتمعات وبالتالي البيئة الطبيعية والبيئة الثقافية الحضارية لها، وهنا تبرز مشكلة البحث الأساسية لأحد هذه المفاهيم ، وهو مفهوم النصبية في العمارة لغياب الإطار المعرفي الشامل لهذا المفهوم ومقوماته للاستفادة من أمكانية تطبيق هذا المفهوم في التصاميم المعمارية المعاصرة والدراسات النظرية في العمارة.وشكل غياب الإطار المعرفي الشامل للنصبية تباين الموقف من احتمالية وجود مفهوم النصبية في العمارة الإسلامية أو عدم وجوده .

بشكل أساسي على توجهاتها النصبية للوصول الى الإطار المعرفي الشامل لمفهوم النصبية بمقوماتها ودوافعها وأهدافها، ومن ثم التحقق من وجود النصبية في العمارة الإسلامية، حيث تم دراسة تناول هذه الدراسة عدد من الطرز المعمارية ، مع التركيز طراز العمارة البابلية ممثلاً نموذج من عمائر الشرق القديمة ذات الديانة الوثنية ،والعمارة الرومانية ممثلة نموذج من عمائر الغرب القديمة ذات الديانة الوثنية ثم الديانة السماوية، والعمارة الغوطية الممثلة لنموذج من عمائر الغرب في العصور الوسطى ذات الديانة السماوية والمتزامنة في بعض عصورها مع العمارة بذات الوقت للخروج باستنتاجات عامة لمفهوم النصبية وبناء الاطار المعرفي الشامل له ثم التحقق من أحتمالية وجود هذا المفهوم في العمارة الإسلامية في تطبيقاتها والدوافع والأهداف لاستخدامه .

ومن دراسة الأدبيات السابقة في تحديد بعض سمات وتوجهات العمارة برزت مشكلة عدم وجود تصور واضح وموحد حول مفهوم النصبية في العمارة كأحد هذه التوجهات، أو وسائل دراسته وأستقرائه من حيث المعنى المعرفي أو الدوافع والأهداف لهذا المفهوم، وبالتالي أساليبه التطبيقية في العمارة ، وهو ما ينعكس بالتأكيد على أهميته في التوجهات والطروحات المعمارية من ناحية دراسية ومن ناحية تطبيقية في الطرح المعماري.

هذا الغموض والغياب للموقف التصوري والإطار المعرفي لمفهوم النصبية أنعكس بطريقة ما على العمارة الإسلامية شأنها في ذلك شأن العمائر الأخرى سواء التي سبقتها أو عاصرتها وهذا ما خلق مجموعة تساؤلات عن

احتماليات وجود هذا المفهوم في مثل هذه العمارة الإنسانية (العمارة الإسلامية) تدعو إلى التبسيط في تكويناتها المعمارية والعمرانية الى جانب خصائص أخرى متميزة.

ومن هنا برزت المشكلة الاتية والتي يمكن توضيحها بما يأتي :

" عدم وجود تصور معرفي واضح لمفهوم النصبية من المفردة والأبعاد المعرفية والمقومات الأساسية للتحقيق والتحقق ".

ومنها برزت المشاكل البحثية الآتية :

1- عدم وجود تصور واضح للدور الفكري الفلسفي والديني والاجتماعي في صياغة هذا المفهوم ، أهداف أو دوافع النصبية في العمارة ،وبالتالي تأثيراتها على النتاج الفيزياوي المعماري والعمراني للأساليب التطبيقية للنصبية في العمارة .

2- تباين الموقف حول التوجه النصبي في العمارة الإسلامية لغياب الإطار النظري والمنظومة التحليلية التي يمكن من خلالها دراسة واستقراء النصبية في أي طراز معماري بشكل عام والنصبية في العمارة الإسلامية بشكل خاص ومتخصص بالبحث .

والتي اعتبرت أهدافاً أساسية في هذه الدراسة، وعلى هذا الأساس وضع البحث الفرضيات الآتية:

1- الطراز المعماري الذي يمتلك توجه نصبي في تكويناته المعمارية والعمرانية يعتمد في مفهومه المعرفي على المستويات الفكرية الفلسفية والدينية والاجتماعية. وترتبط دوافع وأهداف النصبية في العمارة بهذه المستويات الفكرية وبالأخص الفكر السائد أو الفكر الموجه للفكر العام وبالتالي السلطة المهيمنة. ومن تفاعل الدوافع والأهداف للنصبية في العمارة تنتج الأساليب التطبيقية للنصبية في العمارة.

2-تمتلك العمارة الإسلامية توجهات نصبية تتميز بسمات خاصة نابعة من المستويات الفكرية الفلسفية والدينية والاجتماعية للحضارة الإسلامية والمجتمع الإسلامي. وسعى للتحقق من مصداقيتها عبر التوجهات النصبية في الطرز المعمارية المحددة في منهجيته.

(2-1)النصبية في العمارة البابلية:

اعتمدت العمارة البابلية على الفكر الفلسفي المؤمن بأسطورة الخلق البابلية التي تبحث في مسألة الكينونة والوجود والتي تشير إلى علاقة فكرية جوهرية وأساسية توحد بها جميع الظواهر المتباينة وتقضي بأن كل عنصرين متفاوتين في الكون يتولد ثالث منهما يوحدهما أو يدمجهما كثنائيات الوجود.

ولقد كان الفكر الفلسفي هو الفكر المهيمن على الحضارة البابلية والتي أثرت بمحتوياتها الفلسفية على الفكر الديني الذي أمن فيه بمادية الإلهة البابلية وألوهية الإنسان بذات الوقت ، فبرز الفكر الفلسفي كتوجه عام كان الفكر الديني ضمنه ، ثم يأتي الفكر الاجتماعي الذي يدعو إلى توحيد الاختلافات بنظام واحد الذي برز أيضاً كتوجه ضمني ومشتق من الفكر الفلسفي العام للحضارة البابلية ، ليجمع الفكر الديني والفكر الفلسفي كوحدة واحدة ليحقق بذلك التوجه الفلسفي لأسطورة الخلق البابلية[1] .

هذه المفاهيم الفكرية هي التي أدت الى تميز الحضارة البابلية بالأيمان بالإنسان كونه وحدة فكر بمادة ، والفكر والمادة أساس تكوين علاقة الصراع والوحدة بين المتناقضات والتي تمثل اصل الوجود وتحضر في جميع تجسدا ته الجزئية ، وهذا المبدأ الفكري أنعكس بوضوح

على المعتقدات البابلية وأهمها مفهوم الخلود المرتبط بالتوجه النصبي والعمارة ككل.

فقد آمن البابليون بخلود الإلهة وفناء الإنسان[2] ، ولكن وحدة الفكر والمادة كمتناقضات في التكوين البشري مكنت الإنسان من أن يكون خالداً نتيجة التفاعل والاتحاد بين المتناقضات التي توحدت بتكوين ثالث هو الإنسان نفسه، وهذا ما انعكس على الفكر الفلسفي والفكر الديني البابلي وجعلهما مرتبطان بقوة بعلاقة تبادلية ارتبطت فيها الأفكار الفلسفية بالأفكار الدينية لتمثل أساس الوحدة والصراع بين المتناقضات من خلال التجسدات الفيزيائية المدركة بالتكوينات المعمارية والعمرانية.

لتكون بالنتيجة أهم دوافع واهداف الاتجاه النصبي بالعمارة البابلية ممثلة في الرغبة بالخلود وفي إيصال وتجسيد مفاهيم فكرية متنوعة للحضارة البابلية عن طريق النصبية في العمارة كوسيلة مميزة في الإيصال والاتصال.

ولتميز الفكر الفلسفي والفكر الديني كموجه للفكر العام في الحضارة البابلية التي جعلت الفكر الاجتماعي ذا توجه ضمني في الفكر الفلسفي والديني ، برزت الأولوية المهمة في الفكر الاجتماعي بمحور توحيد الاختلافات بنظام واحد.

وبسبب مفاهيم الوحدة والصراع بين المتناقضات ومحاولات التوحيد فيها بنظام واحد قد انعكست على اختيارات وتوجيه الأساليب التطبيقية للنصبية في العمارة البابلية من حيث أسلوب المقياس النصبي وأسلوب الأسس التخطيطية والتصميمية للنسيج البنائي والحضري الذي ارتبط بالأسلوب الرمزي ، وفي أسلوب استخدام العناصر النصبية المرتبطة بأسلوب التعبيرية[3] .الشكل (2-5, 4, 3, 2, 1)

وبالتالي فقد برز أسلوب التعبيرية وأسلوب الرمزية كأساليب غير مباشرة لتحقيق دوافع واهداف النصبية في العمارة .

وبسبب توازن الصراع بين الفكر الفلسفي والفكر الديني وهيمنتها على الفكر الاجتماعي،فقد توازنت استخدامات الأساليب التطبيقية للنصبية في العمارة البابلية في تطبيقاتها على حد سواء ، فظهر التوجه النصبي في الأبنية الدينية وفي الأبنية العامة بنفس الأهمية وبنفس القوة في معظم الأحيان ، أما عند تميز توجه عمراني أو معماري في الأبنية الدينية أو في الأبنية العامة فيرجع الى فقدان هذا التوازن بين القوى المتصارعة لتهيمن أحد هذه القوى وتكون هي الموجه للفكر والنتاج العمراني والمعماري لتبرز كسلطة مهيمنة سواء كانت السلطة المهيمنة سياسية أو دينية ولهذا فان التوازن في استخدام الأساليب التطبيقية للنصبية في العمارة البابلية ذات الوظائف المتنوعة يعكس بوضوح توازن التوجهات الفكرية المتصارعة ومحاولات توحيدها ودمجها في الفكر البابلي في الحضارة البابلية .

(3-1) النصبية في العمارة الرومانية:

تميزت الحضارة الرومانية بأهمية الفكر الاجتماعي وتميزه على الفكر الفلسفي وعلى الفكر الديني، هذه الهيمنة والسيطرة للفكر الاجتماعي والحالة الاجتماعية كوحدة تكوينية مهمة في الحضارة الرومانية على الوضع العام الكلي أعطت الحضارة الرومانية والعمارة الرومانية صفات ميزتها عن باقي الحضارات ومنها باقي العمائر.

فالفكر الاجتماعي يدعو الى تقديس الشخصية الرومانية والقومية الرومانية التي جعلت الإنسان الروماني ذا أهمية وأولوية مقدمة على باقي التوجهات الفكرية ، وهذا التوجه عمل على التأكيد على أهمية مفهوم المواطنة (Citizenship) في التوحيد لكل مقومات الإمبراطورية الرومانية وهذا أدى بالنتيجة إلى

اعتماد مبدأ التعميم في الحياة (Life Generalization) بتميز الأفكار المادية وبعدها عن الروحانيات المثالية لتحقيق هذه المبادئ الاجتماعية[4] .

ولخدمة هذه التوجهات فقد توجه الفكر الفلسفي إلى التأكيد على حقيقة إن الأفكار الفلسفية الرومانية تهدف في مجملها إلى النهاية العملية الإيجابية ، بعيداً عن أهميتها الفلسفية البحتة.

وبالتالي برز توجهان في الفكر الفلسفي الروماني لتحقيق المستوى الفكري الاجتماعي المهيمن الداعي إلى النهايات العملية الإيجابية ، **فالتوجه الأول** هو التأكيد والعمل على أهمية الروحية المخلصة والصريحة للنفعية والتي ارتبطت بمتطلبات الرفاهية العمرانية للحضارة الرومانية.

والتوجه الثاني هو القدرة على التنظيم وبالتالي الوصول الى الوحدة الرومانية عن طريق هذا التنظيم ، سواء كان التنظيم فلسفياً أو دينياً أو اجتماعياً والمعتمد في النهاية على مفهوم المواطنة ونابع منه ، وبنفس الوقت هو خدمة لهذا المفهوم.

هذا التوجه الفلسفي المعتمد في حيثياته على الفكر الاجتماعي أدى إلى الارتباط بقوة بالفكر الديني المعتمد بنفس الأهمية على الفكر الاجتماعي ، حيث كان الفكر الديني الروماني يدعو إلى أن القوة الأولى هي للإنسان.والقوة الثانية هي للآلهة ، وان أي اهتمام بإرادة الآلهة هو لتوحيد الفئات وتنظيمها ضمن كل موحد ، وهذا أدى في النهاية إلى تقديس ذات الإمبراطور، أي تقديس ذات الإنسان بعيداً عن الآلهة والروحانيات.

وحتى بعد دخول الديانة المسيحية إلى الإمبراطورية الرومانية فأنها طوعت خدمة للحضارة الرومانية في فكرها الاجتماعي والفلسفي (Romanized).

ومن خلاصة هذه التوجيهات الفكرية برزت دوافع وأهداف الاتجاه النصبي في العمارة الرومانية التي ارتبطت بالمستويات الفكرية الرومانية بقوة وعبرت عنها بوضوح ، فكانت أهم هذه الدوافع والأهداف هي الرغبة بالشعور بالمجد (Glory)عن طريق تكوينات معمارية وعمرانية مدركة حسياً وبصرياً مرتبطة بالتوجه المادي للفكر الروماني[6] .و التي ترتبط بالرغبة في استعراض القوى الرومانية بكل مستوياتها السياسية والاقتصادية والعسكرية وأي قوى داخلية يمكن تجسيدها والتفاخر بها[7].

ومن هذا التوجيه برز التطلع إلى الوصول إلى تعبيرية فيزيائية للنظام الروماني وعكس حضرية ومدنية المجتمع الروماني بكل جزئياته التفصيلية.

وعلى هذا الأساس تميزت العمارة الرومانية بتنوع وتشعب أساليبها التطبيقية للنصبية في العمارة تلبية لتنوع وقوة الدوافع والأهداف للحضارة الرومانية في توجهها النصبي في العمارة لتعكس بوضوح البيئة الطبيعية والبيئة الثقافية والحضارية بمستوياتها الفكرية للحضارة الرومانية ، فاتخذت أسلوب المقياس النصبي وأسلوب العناصر النصبية وأسلوب النصب المعمارية النقية وأسلوب الطراز المعماري النصبي وأسلوب الأسس التخطيطية والتصميمية للنسيج البنائي والحضري[8] ، وترتبط هذه الأساليب في توجهاتها في معظم الأحيان بالأسلوب التعبيري .الشكل (3-6 , 5 , 4, 3, 2, 1)

(4-1) النصبية في العمارة الغوطية :

تميزت العمارة الغوطية بتوجهاتها الفكرية الواضحة التي كان لها الأثر الفعال في العمارة كنتاج حضاري ، حيث تميز الفكر الفلسفي الغوطي بثلاث اتجاهات ، الأول تمثل بكيفية عبادة

الله بالفكر العقلاني و يتمحور هذا الاتجاه نحو فكرة (بان الله خالق العالم يرتكز على مبادئ عقلانية في خلقه لهذا العالم) ولذلك يمكن الوصول أليه والأيمان به عن طريق القوة المنطقية للعقل.

هذا الاتجاه أثر على الاتجاه الثاني في الفكر الفلسفي الغوطي الذي أنبثق من الاتجاه الأول وأستقل عنه، حيث أعطى الفكر الغوطي الفلسفي بعداً روحياً للمادة وجعلها تسمو فوق صفاتها المادية ، مما غير المادة ككيان مستقل له صفاته وأثاره الروحانية في الفرد، ومن هذا التوجه برز التوجه الثالث في الفكر الفلسفي الغوطي الذي عكس الاهتمامات بالقوة الفردية (Powers of Individuals) والوعي الذاتي لهذه القوى ، الذي يرتبط بأهمية روحانية المادة[9].

هذا الفكر الفلسفي ارتبط بقوة بالفكر الديني، حيث أن الفكر الديني كان هو الفكر المهيمن والقوة السائدة في العصر الغوطي ولذلك كان الفكر الفلسفي موجه من قبل الفكر الديني ومسيطر عليه.

أعتمد الفكر الديني على اتجاهين الأول هو بإعطاء بعد منطقي للإيمان من خلال التوجهات الفكرية الفلسفية وخصوصاً التوجه (السكولائي) ، فالإيمان والدين كانا هما المحور الذي يجتمع به الفكر الفلسفي والفكر الاجتماعي.

وبسبب توجهات الفكر الديني المرتبطة بالروحانيات والألوهية ، فقد أرتبط الفكر الديني بمفهوم الحقيقة (Reality) التي ترتبط بالأحاسيس (Senses) والأفعال (Acts) ، وبهذا يمكن للدين والأيمان أن يمتلكها بعد منطقي ملموس[10] .

وبسبب هذا التيار الفكري الديني المهيمن كسلطة مهيمنة في الواقع الغوطي والذي طوع الفكر الفلسفي في تياره ، كان من الواضح الطبيعي تطويع الفكر الاجتماعي وذوبانه فيه وفي النتيجة برزت السلطة الإقطاعية كسلطة سياسية معاكسة حاولت عكس وتبني مفهوم التنظيم الاجتماعي ولكن بقي التيار السائد هو الفكر الديني ومتطلباته كسلطة مهيمنة .

ومن هذه الصراعات الفكرية وسيطرة الفكر الديني عليها ، برزت أهداف ودوافع النصبية في العمارة الغوطية الممثلة في عكس مفهوم فكرة أن العالم منظم باتجاه عقلاني لذلك فأن إنتاج أي عالم فيزيائي هو تعبير ومحاكاة للنظام الإلهي من خلال العقلانية الإيمانية .

وأن النتاج يكون موجه لتوحيد العقلانية بالأيمان في كل تفاصيله ، وبهذا يتحقق مبدأ الكلية (Totality) رغم عكس القوى البعدية الفردية من خلال التناقص الظاهري بينها ولتبقى الصورة ليست بأهمية الفكرة (Idea)[11] .

ولتحقيق هذه الدوافع والأهداف اتخذت العمارة الغوطية ثلاثة أساليب تطبيقية للنصبية، هي **أسلوب أستخدام المقياس النصبي في الطراز المعماري** الذي تميز بمفهوم فكري خاص بالفكر الغوطي في كونه يمثل (النسبة بين المبنى ذاته إلى تأثيراته على الإنسان) حيث أخذ أسلوب المقياس النصبي بعداً فكرياً واضحاً نابع من الفكر الغوطي العام.

أما **الأسلوب الثاني فهو أسلوب العناصر النصبية** ، التي تحقق الاهتمامات العالية بالقوى الفردية وعكسها للقوى البعدية من خلال التناقض الظاهري ، و التي حققت بدورها مبدأ الكلية المطلوب ، وبالتالي ارتباط هذا الأسلوب كعناصر نصبية بالأسلوب الرمزي لتحقيق النصبية في العمارة الغوطية.

أما **التصميم والتخطيط للنسيج الحضري للمدينة الغوطية كأسلوب تطبيقي ثالث** فقد توجه لخدمة هيمنة الفكر الديني ممثلاً بهيمنة الكاتدرائية ككيان فيزيائي ومعنوي على النسيج الحضري

للمدينة الغوطية[12] ، وتوجه وخدمة هذا النسيج للمبنى الكنيسي ليعكس بهذا التوجه كل المفاهيم الفكرية للعصر الغوطي وبكافة أبعادها وتأثيراتها وتميز الفكر الديني كسلطة مهيمنة ، وبهذا ارتبط أسلوب التصميم والتخطيط للنسيج الحضري للمدينة الغوطية بالأسلوب التعبيري.

وبهذا غطت الأساليب التطبيقية للنصبية في العمارة الغوطية دوافع واهداف هذا المفهوم النابع من المستويات الفكرية الفلسفية والدينية والاجتماعية للمجتمع الغوطي .الشكل (4-5 , 4 , 1, 2, 3)

(1-5) النصبية في العمارة :

ومما سبق مناقشته في الفقرات السابقة يمكن التوصل الى ان:

النصبية في العمارة هي البنيات المعمارية التكوينية أو العناصر التشكيلية التي تقوم بتجسيد رموز فكرية أو روحية أو واقعية أو ميتا فيزيقية ترتبط بكينونة ووجود الإنسان ومصيره لغرض جلبها إلى عالم الواقع الملموس بتراكيب مدركة حسياً وبصرياً ، فالنصبية ترتبط بقيم وسلوكيات الإنسان ووجهة نظر الفكر إلى المستويات الفلسفية والدينية والاجتماعية، وارتباط هذه المستويات بالإنسان والقوة المسيطرة أو المهيمنة ارتباطاً معنوياًمعمارياً وعمرانياً كتكوينات فيزيائية فهي لا تجسد فقط ما حدث ولكن تصورات الإنسان وتخيلاته التي تتوافق وتنسجم مع الحاجات والرغبات الإنسانية عموماً وبالتالي مستوياته الفكرية .

وقد برزت ثلاث توجهات في الدوافع النصبية في العمارة كانت هي المهيمنة في هذا المحور ، وتتفاعل هذه التوجهات وتتكامل وفي بعض الأحيان وفي أخرى تتصادم ليهيمن توجه ويضعف توجه أخر حسب المستويات الفكرية للحضارة المعنية وطرازها المعماري .

فالتوجه الأول هو **(الرغبة بالخلود وتجاوز الحاجز الزمني الآني والاتجاه نحو الديمومة والأبدية)** مفهوم الخلود هذا متغير حسب المفاهيم الفكرية للمجتمع المتنوعة ، والذي يتراوح بين الخلود المعنوي أو الخلود المادي أو الخلود الذاتي أو الخلود المجتمعي أو خلود العمل الإنساني أو مفاهيم أخرى عن معنى الخلود التي تكون نابعة من التوجه الفكري المهيمن أو السائد في المجتمع ، وهنا يرتبط الخلود بالاتجاه الثاني في دوافع النصبية في العمارة وهو **(الرغبة العامة في الاستعراض والتعبير عن القوى الحضارية للمجتمع)** ، ليعكس قوة المجتمع في المحصلة النهائية ، ومن هذا الاستعراض يرتبط مفهوم الخلود ليكون من أبرز دوافع التوجه النصبي الذي قد يرتبط بالتوجه الثالث في الدوافع وهو **(عكس روحية الإنسان ومستوياته الفكرية وسيرته الذاتية)**، وبالتالي مسيرة وأثر الإنسان الفيزياوية والفكرية والعاطفية والروحية الفعالة ، فهنا قد ترتبط روحية الإنسان ومستوياته الفكرية وسيرته الذاتية بدوافع الخلود والديمومة والاستعراض العام للقوى ، أو قد يبتعد عنها بمواقف ترتبط بالبيئة الثقافية والحضارية للمجتمع بغض النظر عن الفكر والقوة المهيمنة في المجتمع، ليكون علاقة رمزية بين الحقائق المجسدة التي تتعلق بالمحتوى الذي من شأنه العمل على ديمومتها وتجاوزها معاً.

ورغم اختلاف وترابط هذه المحاور الثلاثة في الدوافع النصبية في العمارة ، فأنها تبقى تعبر عن الشد والتنوع العالي في المجتمع والحضارة بتكوينات فيزيائية مدركة معمارياً وعمرانياً لتكون من أهم الوسائل للاتصال والإيصال في الفنون المرئية.

ولهذا فأن هذه الدوافع ترتبط بالأهداف لتكون وحدة واحدة كون الدوافع تحمل في الكثير من الأحيان هدف تقويمي أو توجيهي لإظهار

عقيدة أو أفكار مجتمع من خلال العمارة وبالتالي تميزه بالسمو بالذات الإنسانية إلى الذات المجتمعية.وعندها يتم تميز المجتمع وبالتالي الحضارة ككل ضمن توجهات متعددة في الأفكار والسلوكيات الخاصة بها ، بهذا يرتبط الهدف التقويمي والتوجيهي بهدف إعطاء سمة تشخيصية للعمارة تميز المجتمع وبالتالي الحضارة المعنية من خلال توجهاتها ومستوياتها الفكرية والفلسفية والدينية والاجتماعية .

وبهذا ترتبط الأهداف بالدوافع في النصبية في العمارة بوحدة تكوينية مدركة حسياً وبصرياً تعكس البيئة الثقافية والحضارية والبيئية الطبيعية لأي عمارة ومجتمع وحضارة إنسانية .

وبالاعتماد على هذه الدوافع والأهداف ظهرت الأساليب التطبيقية المختلفة لتعبر عن هذا الشد والتنوع والاختلاف والتكامل في الأهداف والدوافع وبالتالي بالمستويات الفكرية ، فبرزت خمسة أساليب تطبيقية للنصبية في العمارة ، هي أسلوب استخدام الخطوات التصميمية أو الطراز المعماري النصبي وهو الأسلوب الأهم في التوجهات وأسلوب التعبيرية وأسلوب الرمزية وأسلوب المقياس النصبي وأسلوب الأسس التخطيطية والتصميمية للنسيج الحضري للمدينة.

ورغم تقسيمات هذه الأساليب التطبيقية لأغراض الدراسة البحثية إلا أنها قد لا تنفصل في التطبيقات العملية ، فتتفاعل فيما بينها وتترابط بتكوينات هندسية وبنيات تشكيلية في العمارة بالاعتماد على الخصوصيات والمستويات الفكرية للمجتمع ولتعبر عن هذه العوامل ليس باختيارات الأساليب التطبيقية فقط و إنما طريقة ترابطها وتكاملها وتفاعلها كمكونات تعبيرية وتطبيقية لهدف واحد بالاعتماد على القوة المهيمنة والفكر الموجه لها ضمن المستويات الفكرية لهذا المجتمع وحسب البيئة الثقافية والحضارية والبيئية الطبيعية له.

(6-1) لنصبية في العمارة الإسلامية:

إن وجود سمات معمارية مهيمنة وبارزة لبعض التراكيب المعمارية والعمرانية المماثلة للأساليب التطبيقية للنصبية في العمارة يؤكد وجود واستخدام المفهوم النصبي في العمارة الإسلامية مع وجود خصوصية واضحة لهذا المفهوم الذي أتخذ أسلوب الطراز المعماري النصبي في المساجد الجامعة وفي المراقد والأضرحة وفي المدارس وبيوت الحكمة وفي القصور إضافة إلى أسلوب استخدام العناصر التكوينية المعمارية النصبية المرتبطة بالأسلوب التعبيري والأسلوب الرمزي وأسلوب المقياس النصبي لعناصر المداخل والبوابات والمحاريب والأواوين والمآذن والجدران الصلدة ومعالجاتها المعمارية و الأسلوب الثالث المهم بالعمارة الإسلامية أسلوب الأسس التخطيطية والتصميمية لنسيج المدينة الحضري.

ارتبطت هذه الأساليب الثلاثة بدوافع و أهداف نابعة من المجتمع الإسلامي معبرة عن سلوكيات هذا المجتمع وتوجهاته الفكرية بكل مستوياتها. فتمحورت الدوافع و الأهداف للتوجه النصبي في العمارة الإسلامية باتجاهين، المحور الأول هو **(إنتاج كيان شكلي مستقل للعمارة الإسلامية والحضارة الإسلامية ضمن مبادئ عامة)**[13] أعطت سمة التوحيد في العمارة الإسلامية برغم تنوع واختلاف الطرز المعمارية العامة المنتشرة على طول الرقعة الجغرافية الواسعة جداً في العالم الإسلامي من خلال اعتماد مبادئ تصميميه عامه في الاتجاه النصبي من ناحية البنية التشكيلية ، والمقياس النصبي والعنصر المعماري التكويني أو الشكلي،حيث أعطت الوحدة في الإطار العام بغض النظر عن تنوعات واختلافات التفاصيل ،فأعطت النصبية كأحد التوجهات المعمارية توحيد عام وتخصيص مستقل في العمارة الإسلامية. وبالتالي إعطاء

كيان شكلي مستقل للعمارة الإسلامية والحضارة الإسلامية يحمل سمة وميزات هذه الحضارة.

أما المحور الثاني فهو موجه (**لفكرة خلود العمل الإنساني)**[14] المعاكس لفكرة خلود الذات الإنسانية الفانية، فطرحت النصبية في العمارة الإسلامية مفهوم جديد لفكرة الخلود وهي خلود العمل الإنساني كفعل مميز للمجتمع والحضارة البعيد عن غايات الذاتية الشخصية ، وبالتالي الوصول الى هدف (**السمو بالذات الإنسانية في خدمة المصلحة العامة)**[15].وبالاعتماد على هذه الدوافع والأهداف وبإنتاج الأساليب التطبيقية للنصبية في العمارة الإسلامية، فقد تميزت هذه الأساليب بسمة مختلفة تميزت بها عن باقي العمائر في معالجتها المعمارية لمفهوم النصبية سواء من حيث الدافع والأهداف أو بالنتاج الفيزياوي المعماري والعمراني للنصبية الذي حمل صيغة الطابع الإنساني والمقياس الإنساني ضمن المقياس النصبي في العمارة ، يبقى المقياس الإنساني أهم ميزات العمارة الإسلامية حتى في أشد مبانيها نصبية(الشكل 6-7 ,5 ,4 ,3 ,2 ,1) .

(7-1) الاستنتاجات :

1- النصبية في العمارة هي البنيات المعمارية التكوينية او العناصر التشكيلية التي تقوم بتجسيد رموز فكرية او روحية او واقعية او ميتا فيزنقية ترتبط بكينونة ووجود الانسان ومصيره لغرض جلبها الى عالم الواقع الملموس بتراكيب مدركة حسيا وبصريا , فالنصبية تربط بقيم وسلوكيات الانسان ووجهة نظر الفكر الى المستويات الفلسفية والدينية والاجتماعية ,وارتباط هذه المستويات بالانسان والقوة المسيطرة او المهيمنة ارتباطا معنويا معماريا وعمرانيا كتكوينات فيزيائية فهي لا تجسد فقط ما حدث ولكن تصورات الانسان وتخيلاته التي تتوافق وتنسجم مع الحاجات والرغبات الانسانية عموما وبالتالي مستوياته الفكرية .

2- يرتبط مفهوم النصبية لأي مجتمع بالمستويات الفكرية لهذا المجتمع وبالتالي البيئة الثقافية الحضارية والبيئة الطبيعية له .

3- ترتبط دوافع وأهداف النصبية في العمارة بالمستويات الفكرية على العموم وبالفكر المهيمن ضمن هذه المستويات والموجه لها بوجه خاص .

4- بالاعتماد على المستويات الفكرية للمجتمع تبرز اختيارات وتوجهات الأساليب التطبيقية للنصبية في العمارة لترجمة الدوافع والأهداف للتوجه النصبي بتكوينات فيزيائية معمارية وعمرانية مدركة حسيا وبصريا .

5- تركزت دوافع الاتجاه النصبي للعمارة بثلاث محاور هي الرغبة بالخلود وتجاوز الحاجز الزمني الآني والاتجاه نحو الديمومة والأبدية. المحور الثاني هو الرغبة العامة في الاستعراض والتعبير عن القوى الحضارية للمجتمع سواء كانت مادية أو معنوية ، أما المحور الثالث فقد توجه في دافع عكس روحية الإنسان ومستوياته الفكرية وسيرته الذاتية وبالتالي مسيرة وأثر الإنسان الفيزياوية والفكرية والعاطفية والروحية الفعالة . وتختلف معاني هذه المحاور حسب المستويات الفكرية للمجتمع المعني.

6- تركزت أهداف النصبية في العمارة بمحورين. الأول هو هدف تقويمي أو توجيهي لإظهار عقيدة أو أفكار مجتمع من خلال العمارة لتميز خدمة المصلحة العامة والسمو بالذات الإنسانية إلى الذات المجتمعية. أما المحور الثاني فقد توجه في إعطاء سمة وميزة للعمارة تميز المجتمع وبالتالي

الحضارة المعينة من خلال توجهاتها ومستوياتها الفكرية الفلسفية والدينية الاجتماعية .

7- تترابط وتتفاعل الدوافع والأهداف للنصبية في العمارة بحيث تكون وحدة واحدة في التوجهات لحمل الدوافع في كثير من الأحيان نفس توجهات الأهداف في المتطلبات لذلك فإنها تنفصل وتتراكب وتتفاعل حسب المستويات الفكرية للمجتمع .

8-اتخذت النصبية في العمارة خمسة أساليب تطبيقية بالاعتماد على الدوافع والأهداف لهذا المفهوم في العمارة ، تركزت هذه الأساليب بأسلوب الطراز المعماري النصبي وبأسلوب المقياس النصبي وبأسلوب التخطيط والتصميم للنسيج الحضري للمدينة والأسلوب الرمزي والأسلوب التعبيري ، وقد تنفصل هذه الأساليب عن بعضها وقد تتفاعل فيستخدم أكثر من أسلوب ضمن التركيبة المعمارية أو العمرانية الواحدة . حسب الدوافع والأهداف للنصبية في العمارة ومن ثم حسب المستويات الفكرية والفلسفية والدينية والاجتماعية للمجتمع والحضارة .

9-ظهرت النصبية في العمارة الإسلامية ، كتوجه مقصود نابع من دوافع وأهداف محددة أرتبطت بالمجتمع والحضارة الإسلامية .

10- اتخذت النصبية في العمارة الإسلامية ثلاثة أساليب تطبيقية واضحة ومرتبطة ببقية الأساليب بعلاقات غير مباشرة ، فظهرت النصبية بأسلوب الطراز المعماري النصبي في أبنية (المساجد الجامعة – الأضرحة والمراقد – القصور – المدارس والبيوت الحكمة) وظهرت النصبية في العمارة الإسلامية بأسلوب العناصر النصبية في (البوابات والمداخل –المحاريب – الأواوين – المآذن والمنائر الجدران الصلدة ومعالجاتها) – أما الأسلوب الثالث فقد توجه بالأسس التخطيطية والتصميمية للنسيج الحضري للمدينة الإسلامية. وقد أرتبط الأسلوب الثاني والثالث بأسلوب التعبيرية وأسلوب الرمزية بعلاقات مباشرة أحياناً وعلاقات غير مباشرة بأحيان أخرى .

11- تركزت دوافع وأهداف النصبية في العمارة الإسلامية بمحورين ، الأول هو في إنتاج كيان شكل مستقل للعمارة الإسلامية والحضارة الإسلامية يحمل سمات وميزات لهذه الحضارة ، والمحور الثاني تركز في طرح فكرة خلود العمل الإنساني المضاد لفكرة خلود الذات الإنسانية بهدف السمو بالذات الإنسانية نفسها في خدمة المصلحة العامة للمجتمع.

12-تميزت النصبية في العمارة الإسلامية بامتلاك أساليبها التطبيقية في العمارة لصفة المقياس الإنساني ضمن المقياس النصبي وبمعالجات معمارية عكست بها صفات العمارة الإسلامية والمجتمع والحضارة الإسلامية ، تميز بها عن باقي الأساليب التطبيقية لبقية العمائر رغم ارتباطها بنفس الإطار العام لهذه الأساليب من حيث التوجه والتطبيق .

13-ارتباط دوافع وأهداف النصبية في العمارة الإسلامية والأساليب التطبيقية لهذا المفهوم في العمارة بالمستويات الفكرية للمجتمع والحضارة الإسلامية.

(1-8) المصادر:

1. Jacobus, Lee. A., "Aesthetics and the Arts", 1968,Western Conecticute Storte Collage, Megroo hill book company London, New York.

2. السواح – فراس , " مغامرة العقل الاولى " , 1985 . دار الكلمة – بيروت .
3. Schulz, C. N., "Intentions in Architecture", 1963,Universitets forlaget, Allen and Qnwin ltd.
4. Fleming, William, "Arts and Ideas", 1968, Syrocuse University, Itolt, Rinehart and Winston, ING.
5 . Baily ,Grily ," The lagacy of Rome " ,1962 ,Oxford Clarendon .
6. Norton , Lugy (Tran.) "Rome of Caesers",1966, phaidon ,phaidon press Ltd ,London .
7. Read,Herbert,"The styles of European Art",1963,Thomes and Hndson.
8. Read,Herbert,"The styles of European Art",1963,Thomes and Hndson.
9. Gelenter ,Mark ,"Sources of architecture from, a critical history at western design theory " ,1994 Manchester university press .
10. American Library. Pannofsky, Erwin, "Gothic Architecture and Scholasticism ", 1976,new
11. Gelenter ,Mark ,"Sources of architecture from, a critical history at western design theory " ,1994 Manchester university press .
12. Jantzen ,Hans,"High Gothic" ,1974,Thames and Hudson ,London.
13. "The new Encyclopaedia Britanica",vol.8.1986,Chicago
14. Grube ,Ernest ,"Islamic Architecture ",1971 ,Thames and Hudson .
15. Abel, Chris,"Architcture and Identity, towards a global eco-Culture", 1997, Architcture,Press.

Pages:
P255-7 , P41-79 ,P 21-44 , P93-9 , P55-6 ,P70 , P85, P281-309, P203-6, P37-43, P78, P4-31, P88, P11, P74.

مصادر الاشكال:

الشكل 1-5، 4, 3, 2, 1

1-Fletcher ,Sir Banister " , A History of Architecture", 1975, University of London, the Athlos Press. Page no.(463,459,461,464,465,460)

الشكل 2-6 , 5, 4, 3, 2, 1

2-Jantzen, Hans,"High Gothic", 1974 , Thames and Hudson,London.

الشكل 3-6 , 5, 4, 3, 2, 1

3-Hoag,John"Islamic Architecture" .1975,Electa edition,Milan .

الشك 5-7 ,6, 5, 4, 3, 2, 1

4-Stromenger,Eva 500 "Years of the Art of Mesopotamia", 1978, Harry N.Abrams INC. New York.

1- The Gothic" , 1960 ,Priceton , Newjersey .
2- Gelenter ,Mark ,"Sources of architecture from, a critical history at western design theory " ,1994 Manchester university press .